والتنظيمية، والعسكرية، واحياناً الخطايا، تقع مسؤوليتها على كاهل الجميع. بل ان المواطن العربي، الذي اختار حياة الدعة والرغد الاستهلاكي، وقبل بحالة ضرب أحلامه نتيجة التردي القائم، واستكان لقوى المجتمع ونظمه السياسية، ذلك المواطن مسؤول، أيضاً، عمّا جرى له، ولأخوانه، ولوطنه، ولأحلامه الخاصة، والعامة(١٣).

ثالثاً: فلسطينياً واسرائيلياً

أمّا ثالث أسباب التحوّل السياسي الفلسطيني، فيأتي من الدائرة الأضيق من الدائرة العربية، أي من الدائرة الخاصة بالصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي عينه. ونعني، هنا، تحديداً، دائرة «المعاناة الفلسطينية المزدوجة» التي لا يمكن ان تنفصل، بداهة، عن الحال الذي آلت اليه الاوضاع العربية في نطاقها العام والشامل، ولا عن الممارسات الصهيونية ـ الاسرائيلية. وممّا هو بدهي، أيضاً، ان تلك المعاناة الفلسطينية، بل وذلك الوضع العربي، ليسا منفصلين عن الجهود الاستعمارية ـ الاسرائيلية المحمومة التي حرصت على تكريس «النموذج الابنغلاقي» الطائفي الاسرائيلي وتعميمه في المنطقة، من جهة، مثلما حرصت على تكريس النتوءات القطرية العربية الجهوية ذات الطبيعة الكيانية الشاذة، من جهة أخرى. وقد نجحت هذه القوى، غير مرّة، في الهاب الضلع الفلسطيني ـ العربي من مثلّث العلاقات الفلسطينية ـ الاسرائيلية ـ العربية، بدلاً من الهاب الضلعين الآخرين الفلسطيني ـ الاسرائيلي والعربي ـ الاسرائيلي. وقد قاد ذلك التطور الى معارك محاصرة البندقية الفلسطينية وتعطيل حركتها، ممّا عاد فادّى، بدوره، الى مزيد من التردي العربي في الاتجاه الكياني، والجهوي، والطائفي والمذهبي، في غير قطر عربي، بحيث أساء ذلك، أكثر فأكثر، للعلاقات بين أبناء الشعب الفلسطيني وغيرهم من أبناء الشعوب العربية الأخرى. وهكذا، أصبحت فكرة «الدولة الفلسطينية» التي تقوم ولو على «أي جزء يتمّ تحريره» من فلسطين، أولاً، حلماً مرحلياً ضد المحاولات الاسرائيلية لتغييب الشعب الفلسطيني وقضيته اللذين يشكلان عاملي نفي الدولة الاسرائيلية، وثانياً خلاصاً من المعاناة التي وجد الفلسطينيون أنفسهم يعانون منها في الاقطار العربية المضيفة. بل ان فكرة تلك الدولة أصبحت بمثابة «خشبة الخلاص» لدى الكثير من الفلسطينيين لانقاذ هذه المجموعة الفلسطينية، أو تلك، من مذبحة على أيدي قوات اسرائيلية غازية، أو من مجزرة على أيدي قوات كتائبية انعزالية، أو من تصفية على أيدي قوات طائفية مذهبية فاشية. كما أصبحت الفكرة عينها بمثابة «جسر» تعبر عليه هذه المجموعة الفلسطينية، أو تلك، من ظلم الحصار غير الانساني، والتجويع، والتعطيش الاجرامي، والقصف الوحشي لمخيماتها ومناطق سكناها. كذلك، اصبحت الفكرة تلك بمثابة «الرافعة» القادرة على رفع الاحتلال الاسرائيلي القاسي عن مليون ونصف المليون فلسطيني في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، بعد ان فشل «المخلّص العربي»، خارج أسوار الاحتلال، في انقاذهم على مدى ٢٢ عاماً طويلة مريرة. وأخيراً، اصبحت فكرة الدولة الفلسطينية بمثابة «الملجأ» الذي يرغب الشعب العربي الفلسطيني في الارتحال اليه، لممارسة حقوقه السياسية والانسانية، بعيداً من القمع الاسرائيلي، او القمع الرسمي العربي، أو مخاوف الترحيل، أو متاعب وثيقة السفر، أو شظف الحياة في مخيمات النزوح والشتات والتشرّد، أو مآسي التمييز الجهوي ـ الطائفي ـ الكياني المريض، الممارس ضدها في هذا البلد العربي، أو الاجنبي، أو ذاك(١٤).

غير ان هذا العامل العام غير المباشر، المؤثر في الساحة والوسط الفلسطيني الى درجة كبيرة، لا ينفصل عن مجموعة أسباب وعوامل فلسطينية، واسرائيلية، أكثر مباشرة ولا تقل أهمية:

أولاً: ممّا لا شك فيه ان الانتفاضة الشعبية الفلسطينية، التي انفجر بركانها صباح التاسع